

بيع وشراء الرقيق

عبد الحق الاسلامي

تخريج ذ. محمد الغرايب

كلية الآداب والعلوم الإنسانية القنيطرة

عبد الحق الإسلامي السبتي "شمونيل بن يهوذا بن أبون" أو "السموال بن يحيى المغربي" المتوفى سنة 570 هـ، اشتهر كعالم في الديانات المقارنة والرياضيات، أغلب أعماله ردود على اليهود من أبناء جلدته. لما انتقل إلى المشرق على عهد الدولة الموحدية، نزل بغداد وأقام بها لبعض الوقت، ثم غادرها حسب ابن أبي أصيبعة إلى بلاد العجم، ليموت شابا في المراغة، وقد اشتهر من كتبه ما يلي: رسالة أبي خنود: في الجبر والمقابلة، وإعجاز المهندسين والرد على اليهود وكتاب القوافي في الحساب الهندي وإفحام اليهود، ولم يذكر من ترجموا له أي اهتمام له بموضوع العبيد، لذلك اعتبرنا هذا النص الذي تقدمه للقراء فريدا في كتاباته، سواء في طريقة وضعه أو ترتيب معلوماته أو محتوياته والتي تتم عن اطلاع قل نظيره في عالم النخاسة. وقد ورد هذا النص بشكل شاذ في كتابه نزهة الأصحاب في معاشره الأحاب وهو كتاب، كما يدل عليه عنوانه، في الباه وكل ما يتعلق بالجماع، وقد جعل هذا الكتاب في عشر جمل أي أقسام، ويقع بيع وشراء الرقيق في الجملة العاشرة. والجملة العاشرة خمسة أبواب، يذكر في الباب الأول وصايا ينتفع بها في بيع وشراء الرقيق، وفي الباب الثاني وصف لأجساد العبيد. وفي الباب الثالث الكلام على أخلاق الرقيق. وفي الرابع من الأبواب الحديث على أجناس الرقيق وما يصلحون له من أعمال. وفي الباب الخامس وهو الأخير دعوة إلى التحرر من التدليس الذي يمارسه النخاسون لغش المقبل على شراء الرقيق. ولما كانت لنا نية في العودة إلى هذا الموضوع لا حقا فضلنا الاقتصار على تخريج النص وتقريبه من القراء خاصة أن ثقافة الإتجار في الرقيق كانت واحدة في العالم الإسلامي شرقا وغربا وربما انطبق نفس الحكم على أوروبا في العصور الوسطى.

الجملة العاشرة، في بيع وشراء الرقيق وهي خمسة أبواب

الباب الأول من الجملة العاشرة: في ذكر وصايا ينتفع بها في البيع والشراء

وهي ثلاث عشرة وصية،

الوصية الأولى، سبيل المستعرض للجواز ألا يقطع بأول نظرة؛ فإن الجائع يستجيد كل طعام يشبعه، والعريان يستوفى كل طمر يستره ويدفيه، ولهذا قال، لا يستعرض جارية شبق، فليس لنعظ رأي؛ لأنه يقطع بأول نظرة ينظر، وللجديدة لذة، وللغريب روعة؛ فإذا صادف منه حاجة داعية، قطع ما يكذبه حواسه عند الاستغناء عنه، ولهذا قال، تكرر اللحظ مخلف كل جدة، ولمعاودة التقلب يظهر التصنع ويهرج المدلس.

الوصية الثانية، أن يحذر شراء الرقيق في المواسم؛ ففي مثلها يتم للنخاسين الحيل، فكم سمراء كمدية بيعت بصفراء مذهبة، وأبخر الفم بطيب النكهة، وكم قد جعلوا العين الزرقاء كحلاء، وحمروا الخدود المصفرة، وسمروا الوجوه المقعقة، وأعدموا الخدود شعور اللحى، وأكسبوا الشقراء حالك السواد، وجعدوا الشعور السبطة، وبيضوا الوجوه المسمرة.

وكم من مريض بيع بالصحيح، هذا زائد على ما يوصون به الجواري من دل ومجانة على مسافرين، فدخل لهم لحم الميتة، وسوى ما يفعلنه من تزيينهن بالخضاب والحناء والملابس الناعمة المصبغة.

قال بعض النخاسين، درهم حناء يزيد في ثمن الجارية مائة درهم فضة، ولهذا قال، اتهم نظرك فيما تستحسنه، حتى يكون الاستحسان دائما على صورة لا ينقصها تكرار النظر، ولهذا لا يتم إلا في دفعات.

الوصية الثالثة، ألا يقطع بأول كلام يسمع أو غلام أو جارية فربما جاء اتفاقا أو عن تلقين فوافق من سامعه قبولا، ولا يكون وراء ذلك الكلام أمثاله، ولكن خذ بسوء الظن تسلم.

الوصية الرابعة، ليحذر الرؤساء ممن كان له سمعا، ويخشى عليه منه، أو يخاف أن يطلع له على سر شراء خادم أو جارية خاصة إن كانت كاتبة، وخرجت من دار سلطان إلا

بعد خبرة بها، وشراء جارية مولدة بأجر جلاب؛ فإن هذه حيلة قد هلك بها جماعة من الملوك.

الوصية الخامسة، التحرز من شراء مملوك كان يكثر ضربة أو جارية قد تمرنت على العقوبة، فإن من هذه صفته، قد انفسد، وامتنع عنه وجه الصلاح والتأديب.

الوصية السادسة، ألا يشتري مملوكا ذا جرة على ذم مولاه وتتقيصه.

الوصية السابعة، أن يغفل المسألة عن سبب بيعه وشرائه؛ لأن بيعه مولاه ولأن يشتريه؛ ففي هذا الفحص فوائد كثيرة في استنباط ما يدل على الصلاح في ارتباطه وتسريحه وتركه.

الوصية الثامنة، ما وصي به قبل استخدامه، قالوا، المملوك على أول ما يراه منك، أول دخوله دارك؛ فإن أطعمته طمع، وإن هذبتة انقمع، وإن خالطه مفسد من الغلمان فسد.

الوصية التاسعة، في التحرز في استبراء الأمان من الحبل قبل الهلك، واحذر بالسداد، والدواعي الكاذبة؛ فإن كثير ما تجعل في خرقهن دم غيرهن.

وليكن ممن يشتري لك منها امرأة تكره أن يلصق بك ولد غيرك، ومرها بتفقد ثديها، وحسن حشاها، وتأمل شحوب لونها، وشهوتها للطعام المالح الدال على التوحم، وأن تسقى عند النوم من العسل أوقيتان ممزوجا بمثله ماء المطر، وينظر هل يغص أم لا؟

والعلة فيه احتباس النفخ بمشاركة المعاء، وهو صحيح مجرب، وأيضا تكلف الصوم يوما، وعند المساء ترمل في ثياب، وتدخن عن أمانة أو قمع بخور، فإن خرج الدخان ورائحته من الأنف والفم؛ فليس بها حبل.

الوصية العاشرة، بعد الشراء، وهو تحرز المشتري من أن تحبل الجارية بغير إرادته، وذلك أنه إذا اشترى غير بالغة؛ فربما بلغت في منكحه، وهو لا يعلم، وكتمت عنه ذلك رغبة في الولد، ويحذر الجواري اللاوتي توهمن أنهن عقيم، وهن كارهات للحبل، فربما خدعن الملك بذلك.

الوصية الحادية عشرة، ألا تخرج جارية من منكحه إلا في دم؛ فربما حبلت في حجرة النحاس، وادعت أنه من بائعها على أن ذلك من الجواري نادر.

الوصية الثانية عشرة، أن تجتهد في البراءة من كل عيب يخرج في الجارية، وألا يغفل عن البراءة من كي يكون في ثديها.

فكثير من طوائف الترك يكوي الجارية على ثديها حتى لا تسترخي، ويسقط ثدياها كثيرا، ومنهن من يكونون الجارية في وسط رأسها، ومنهن من يكونون الجارية على فرجها، ولترك في هذا خرافات إلا أنهم يفعلون ذلك ببنايتهم، والشرع يوجب للمشتري ردها، ولو بعد الوطئ إذا لم تكن بكرًا، ولم يعلم بالكي وما شابهه.

حدثني بعض التجار أنه اشترى جارية تركية؛ فلما ملها عزم على ردها، قال، وكان على فرجها كي صغير على مقدار الترمسة؛ فرددتها على صاحبها بمحضر من القاضي.

وحدثني صديق لي أن اشترى جارية تركية حسناء، ووطنها عدة أيام، فناما ليلة حتى طلعت الشمس ثم جلسا، فحانت منه نظرة إلى عينيها، فرأى شعرة في جفن عيناها مقلوبة، وقد دمعت عيناها؛ فرد الجارية على صاحبها بهذا العيب.

ولا أعلم أحدا قد أمن من هذا إلا أهل؛ فإن أحدهم إذا باع جارية، كتب بينه وبين المشتري شرطا مجتمعا على تعدد سائر العيوب والأمراض واحدا واحدا، ويبيعه على البراءة من جميعها؛ فإن رضي وإلا لم يبيعه.

الوصية الثالثة عشرة، للمسافر بالعبيد والجواري أن يشهد بعض عدول المدينة عند أول وصوله إليها على إقرار المملوك والجارية بالعبودية له، والاختيار بشهادة قوم عليه بأنه في منزله وخدمته؛ فهذا القدر كاف في الاحتراز من نشوز الغلام أو الجارية وهربه وادعائه الحرية.

الباب الثاني من الجملة العاشرة: في أجساد الرقيق بحسب كل واحد منهم على مذهب الأطباء

وهو ثلاثة وثلاثون أصلا،

الأول، تفقد اللون ألا يكون إلى الصفرة؛ فإنه يدل على ضعف الكبد، وغلبة الصفراء، ولا إلى السوداء والكمودة؛ فإنه على السوداء وضعف الطحال، والأبيض ناشفا؛ فإنه يدل على أمراض في الرحم أو الأحشاء أو المقعدة، لكن إن كان أبيض؛ فيلكن مشربا بالحمرة، وإن كان أسمر؛ فلتكن سمرته صافية.

الثاني، من البشرة أن تكون نقية خالية من البهو أو البرص أو الوشم أو القوباء أو الكي أو الصبغ أو التآليل أو عرق مدني أو أثر قرصة لا سيما إن كان من عضه كلب.

الثالث، تناسب الأعضاء في الطول والقصر لاسيما الرقبة؛ فإن قصرها قبيح مكروه، وقصر إحدى اليدين عن الأخرى أو قصرهما جميعا؛ فإن ذلك رديء في الأعمال.

الرابع، تفقد الشعر والرأس لئلا يكون به داء الثعلب والحية والسفعة والحزاز.

الخامس، ألا يكون كثير الفضلات كالصباغ والمخاط، ويكره كثرة النوم وكدر العين؛ فإن ذلك من مخايل الصرع.

السادس، تفقد العينين لئلا يكونا مطربيتين؛ فإنه من علامات الوسواس لا سيما إذا لم يكن الكلام منتظما، ويعتبر لونهما؛ فإن كان بهما زرقة في السواد فإنها من علامات الماء، ولا يكون بياضا كدارا أو اصفرارا عروق؛ فإنه من مقدمات السل، وألا يكون شكلهما مستديرا؛ فإنه من علامات الجذام، أو تفقد المآق لئلا يكون به طفرة، ولا لحم زائد ولا ناصول، وعلامته أنك إذا عصرت المآق خرج منه مدة، وتفقد الأجفان لئلا يكون شفرهما منتشرا ولا منقلبا، ولا يكون في الأجفان غلط .

السابع، تفقد الأذن والأنف لئلا يكون في داخل أحدهما لحم زائد، ويمتنع بالروائح، والكلام.

الثامن، أن يستنطق لئلا يكون به لثغة إما لقبض اللسان أو لغلظه أو لسقوط جزء منه أو لآفة من عضلة أو بسقوط بعض الأسنان أو لالتصاقه من الحيلة أو لأثر قرحة، وربما كان قد عض لسانه لصرع به.

التاسع، تفقد الأسنان لئلا يكون قد عض لسانه لصرع ناقصة بع الثغر؛ فإنها لا تعود، وتفقد ألوانها وصلابتها، وامتحان ذلك بأن يؤمر بكسر اللوز والجوز والبطروالفسق، وسلامتها من الحفور، وبعدها من الضرس بصبرها على الحامض، واجتماعها أجود من تفرقها، وإن كان السبب محبوبا عند العرب.

العاشر، اللثة ألا يكون فيها قروح، واستكهه لئلا يكون فيها بخر من عفونة أو تأكل ضرس أو بلغم عفن في المعدة.

الحادي عشر، تفقد اللهاة لنلا تكون مسترخية؛ فإن ذلك سبب اتصال السعال، والنازلة إلى أسفل؛ فإنه يتبع ذلك الخفاف.

الثاني عشر، تفقد النغانغ لنلا يكون بها سلع أو أثر خنازير.

الثالث عشر، تفقد الصدر لنلا يكون ضيقا أو معوجا أو قليل اللحم، فإن ذلك سبب الذبول والسعال والنزلات والسل، ولا سيما إن كانت الأكتاف متجنحة.

الرابع عشر، تفقد الساعد والمرفق لنلا يكون منه رشح من خراج أو جرح أو عرق مدني، واستبينه بأن يفيض على يدك بقوة.

الخامس عشر، أن يأمره بأن يستلقي على ظهره، ويحس حشاه في فم المعدة إلى العانة، فإن رأيت الماء أو خلطا؛ علمت به لاسيما إن وافق ذلك فساد لون، وتقبيح في المحاجر، وكان يقطع نفية عند الإحضار.

السادس عشر، أن تأمر امرأة ترفع رجلي الجارية، وهي على ظهرها مستلقية حتى تصل ركبتيها إلى ثديها، وحتى يصير كعبها عند أذنها؛ فينظر هل تتأوه أو تتألم أو تجمع بطنها؟

فإن فيهن من يكون في أحسانها أوجاع، ومثانتها قروح، ولا يمكنها رفع الرجل كثيرا إلا بالألم، فتراها إذا جومت لا يمكنها إمالة رجلها كثيرا.

السابع عشر، أن ينظر كيف أكل الجارية، وعملها للأشغال؛ وربما كانت تأكل بيدها اليسرى، وتعمل بها أكثر أعمالها؛ فذلك من العيوب.

الثامن عشر، أن ينام الغلام أو الجارية في بيتك ليلتين أو ثلاثة، وتمنعه أن يلقي من فيه شيئا عقيب تنخع أو سعال إلا في طاس، مشتمل على ماء قد أعدته لذلك، وتراقبه أيضا بعد هبوبه من المضجع، فلا يمكن من إلقاء شيء من فيه إلا في الطاس، ثم يتأمل ما في الطاس، ويحرك في الماء بقصبة؛ لتفرق أجزاءهن بحيث يخلص من الرطوبات ما عساه يتشبث بها من المدة، فإن رسب شيء؛ فهو عن قرحة في الصدر أو في المريء أو المراق أو الرئة، وأرداها ما كان لونه بعيدا عن البياض.

فكم من مصدور بيع بالصحيح، ويبقى المشتري سنة لا يعلم بحاله، ولا يظهر على المريض علامات ذلك؛ لأنه لم يتفقد منه ما ذكرنا؛ فإن قرحة الصدر خاصة إذا حدثت عن

أخلاق رديئة كان خروج الفتح منها ونفته بغير سعال، ولا سيما إذا اعتقت؛ لأن الأعضاء التي تمر بها الفتح بالنخع بلا سعال.

التاسع عشر، تفقد المعدة ألا يكون الطعام فيها يستحيل إلى الحموضة أو الدخانية أو التخمّة، وألا يكون ساقط الشهوة قليل الأكل جدا أو لا يكون بها خلط داع إلى أكل الفهم والطين.

العشرون، أن يطعم اللحم مشويا أو مقليا، وتتأمل أطرافه بالليل، ومنهم من يكون بها سداء دق، وتصلح في الشتاء، وترجع في الصيف إلى أشد ما كان؛ فإذا أكل اللحم أسرعت الحرارة إلى أطرافه خاصة يديه ورجليه؛ فيسخنان بالليل سخونة رديئة.

الحادي والعشرون، أن يؤمر بأن يتبول في طاس عقب النوم الأطول، ويتفقد هل يتبين فيه رمل أو مدة، فيدل على قرحة أو حرارة في الكلى أم لا؟

الثاني والعشرون، يتأمل الغلمان خاصة عند البول، فإن كان يفرك الإحليل طويلا قبل خروج البول؛ فذلك دليل عسر البول أو قرحة في القضيب.

الثالث والعشرون، يمنع من التبرز في جب يختفي فيه البراز، بل يلجئ إلى أن يتبرز على بسيط الأرض، ويتوكل به من يفتقد برازه، هل فيه دم أو قيح؟

وقد يخرج البراز غليظا، ولا يرى معه قيح، لكن إذا تفقدت جوانبه؛ وجدت في أحد الجوانب من البراز رطوبة خضراء، وقيح يسير، ودال على شجج في المعاء، وبعده من المعاء يعلم بعد موضع القيح من أول البراز إذا مد كل الحبل.

الرابع والعشرون، أن يؤمر من يشرف عليه من ورائه إذا تبرز، وهو لا يشعر حذرا من أن يكون ممن تخرج مقعدته إذا تبرز.

الخامس والعشرون، الأنثيان لا يكون بهما دوالي أو بأحدهما عطبا أو إحداهما صغيرة والأخرى كبيرة أو يكون ذا بيضة واحدة.

السادس والعشرون، مختص بالرحم ألا يكون ما بين السرة إلى العانة عند الحس غليظا أو صلبا؛ فإن ذلك دليل سرطان.

السابع والعشرون، يحترز ألا يعرض للجارية الغشي الشبيه بالسكتة في أول الحيض؛ فإن ذلك دليل اختناق الرحم يتبعه الموت فجأة.

الثامن والعشرون، ألا يكون في الرجل عوج أو تشنج أو عرق نسا أو خلع ورك، وهذا يتبين إذا أمرته بالعدو.

التاسع والعشرين، تفقد الركبة لنلا يكون بها ورم صلب أو خلع الأصل.

الثلاثون، الساقان لا يكون بها تقويس أو حنف أو فحج، ولا في باطنهما دوالي.

الحادي والثلاثون، أن يؤمر بالعشاء، ويطعم الخيار؛ فإن كان له عادة يبول في الفراش جرى على عادته.

الثاني والثلاثون، تفقده في حال النوم ألا يكون يصر بأسنانه، ولا يهذي في نومه، وبألا ينام على وجهه، وبألا يكون ممن يمشي، وهو نائم.

الباب الثالث من الجملة العاشرة : في تعرف الأخلاق لقياس الفراسة على مذهب الفلاسفة

مقدمات الفراسة مأخوذة بتشابهات موجودة في أشخاص من الناس أو من الحيوان، ولا يحكم على دليل واحد، ومتى اجتمعت دلائل متضادة حكم بأقواها، ورجح أظهرها، ودلائل الوجه والعينين خاصة بأقواها وأوضحها مثال.

من دلائل الشجاعة، تراه مأخوذاً من صفات الأسد أن يكون قوي الشعر خشنه، شديد العظام والأطراف والأصابع، عظيم الصدر والأكتاف والرقعة، عريض الصدر، ضامر الورك، معرق الجبهة، قوي المفاصل، منتصب القامة، ممشوخ الإليتين، بعيد ما بين المنكبين، ممدود الحاجبين، أرب الصدر والكف، والجبان بالضد.

دلائل اللون، الأشقر والأحمر يدلان على كثرة الدم والضحك، الذي بين البياض والحمرة دليل على اعتدال، اللون الناري دليل رأي، الأحمر دليل حياء، الأخضر دليل سوء الخلق.

دلائل العينين، عظمها دليل كسل، غورهما دليل دهاء وحسد، جحوظهما دليل هذر وقحة، زرته إحداها تدل على البلادة، سوادها دليل جبن، شبههما بعيون الأعنز دليل جهل، سرعة حركتهما وحدة بصرهما دليل مكر وحيلة، بطء حركتهما وإبعادهما دليل كسل وشبق، حمرةتهما دليل شر وإقدام، سودهما دليل كسل وبلادة؛ فإن مالتا إلى الصفرة كان صاحبهما

سفاكا للدماء، الزرقة مع الأصفر دليل رداءة الخلق جدا، النقط والشعب حوالي السواد يدل على هنر وحمق وحسد وشر، وإذا برز السواد على البياض دل على الحمق، صغرها وجحوظهما دليل ميل إلى الشهوات.

دلائل الحاجب، كثرة الشعر فيه من دلائل الهم، طوله نحو الصدغ دليل التيه والصلف، طوله نحو الأنف دليل البله.

دلائل الأنف، دقة طرفه دليل محبة الخصومة؛ فإن كان ذلك مع طول دل على حمق، غلظه دليل قلة الفهم، الفطسة دليل شبق، غلظ أرنبيته دليل غضب.

دلائل الجبهة، المستطيلة التي لا غصون فيها دليل شغب وخصومة، الكثيرة الغصون دليل صلف، صغرها دليل الجهل.

دلائل الفم، سعة الفم دليل شجاعة، طول الأنياب دليل شره وشر.

دلائل الوجه، من كان حاله كأنه سكران أو غضبان فحاله كذلك، قلة لحم الوجه دليل كسل وغلظ طبع، وضده بالضد، الوجه المستدير دليل جهل، العظيم دليل كسل، الصغير دليل خفة، السطح الوجه رديء الخلق، طوله دليل قحة، الأوداج البارزة دليل غضب.

دلائل الأنثى، عظمها دليل جهل ودهاء وطول عمر وبالضد .

دلائل الصوت والنفس، العظيم الصوت دليل شجاعة، سرعة الكلام دليل عجلة وبله، وحسن الصوت دليل رعونة، النفس الويل دليل رداءة الهمة.

دلائل اللحم، اللحم الكثير الصلب دليل غلظ حسن وفهم واللين بالضد.

دلائل الضحك، كثرت دليل دماثة الخلق وقلة اهتمام بالأمور وبالضد، علوه دليل قحة من عرض له عنها لضحك سعال؛ فهو مستحي.

دلائل الحركات، الحركة السريعة دليل طيش، البطيئة دليل بلادة.

دلائل البطن، كبرها دليل البلادة، وصغرها بالضد.

دلائل العنق، قصرها دليل مكر، طولها دليل جبن، عظمها دليل شجاعة.

دلائل الظهر، عرضه يدل على القوة والغضب، استواؤه يدل على العقل، انحناؤه دليل رداءة الخلق.

دلائل الكتفين، العريض جودة العقل، الدقيق ضده، شخوص رأس الكتفين دليل حمق.

دلائل الذراع، إذا بلغ منتهى الكف رأس الركبة دل على نبل النفس وحب الرئاسة، وقصره بالضد.

دلائل الكف، اللينة اللطيفة دليل سرعة التعلم والفهم وبالضد، الطويلة الدقيقة تدل على زعارة الخلق.

دلائل الحقو والساق والقدم، القدم اللحيم الصلب دليل بلادة، والصغير الحسن دليل فجور ومرح، غلظ العقب دليل شدة وبالضد، غلظ العاقين والعراقيب دليل بله وقحة، دقة الحقو دليل حب النساء.

دلائل الخطى، الخطى الواسعة البطيئة دليل تأن وتؤدة، والخطى القصيرة المسرعة بالضد.

الباب الرابع من الجملة العاشرة : في معرفة أجناس الرقيق وما يصلحون له من الأعمال

الجارية الخماسية هي التي يكون طولها خمسة أشبار، والشهوارية ليس اسمها مشتقا من جنس من الأجناس لكنها مشتقة من الشهوة الكاملة، والمنصورية من المنصورة التي هي وراء النهر، وهي غير منصورة العرب ، والفارسية مولدة فارس، مولد الزنجية إذا تكرر مع النسل في البيض ثلاث دفعات؛ صار أبيض، وبعد الفطس أقنا، ولانت أطرافه وتطبعت أخلاقه، ومثل ذلك في كل الأجناس.

فأما أهل البلاد الشرقية، فألوانهم بيض مشربة بحمرة، وأبدانهم مخصبة، وأصواتهم صافية، وأمراضهم قليلة، وصورهم جميلة، وأخلاقهم كريمة، وأعشابهم كثيرة وأشجارهم عظيمة، وما لهم غضب ولا حدة لاعتدال كفياتهم لكنهم أهل سكون ودعة.

وأما أهل البلاد الغربية، فأحوالهم تكاد تضاد جميع ما ذكرناه في البلاد الشرقية.

وأما البلاد الشمالية، التي هي بنات نعش والجدي كبلاد الصقالبة؛ فأهلها عراض الصدور، شجعان، وحشوا الأخلاق لكمون الحرارة، دقاق السوق طويلون الأعمار لجودة هضمهم، نساؤهم عواقر لا يبقين من دم الحيض.

وأما البلاد الجنوبية، وهي التي أهلها سكان تحت القطب الجنوبي كالحبشة؛ فأحوالهم ضد أحوال البلاد الشمالية، ومياههم كدرة مالحة، ومعدهم باردة، وهضومهم رديئة، وأخلاقهم هادئة، وأعمارهم قصيرة، وبطونهم لينة لسوء الهضم.

وأما الهنديات، مسكنهن أول الجنوب على سمت المشرق، ولهن حسن القوام، وسمرة الألوان، وحظ وافر من الجمال مع صفرة وشفاء بشرة، وطيب نكهة، وحسن نعمة، ولكن الشيوخوخة تسرع إليهن وفيهن.

أعني، وفاء عهد ومودة، وكثرة محافظة، وبعد غور وسلطنة، ونفوس عزيزة، لا يعبدون على الذل، ولا يتألمون للقتل، ركابون العظامم متى أوجوا وأغضبوا، وهن يصلحن للولد، ورجالهم لحفظ النفوس والأموال والصنائع الدقيقة غير أن النزلات تسرع، وقد يوجد فيهم الجوارري البيض الحسان على ما حدثنا التجار.

روى الأمير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ عن أشياخه بإسناده إلى أحمد بن أبي خالد وزير المأمون، قال، كتب ملك الهند إلى المأمون مع هدية أهداها له فهذه حكايته، "من دهمي ملك الهند، وعظيم أركان المشرق، وصاحب بيت الذهب، وإيوان الياقوت، وفرش الدر، الذي قصره من العود الذي يختم عليه فيقبل الصورة قبول الشمع، وتوجد رائحة قصره من عشرة فراسخ، والذي يسجد له إمام البد الذي وزنه ألف ألف مثقال من الذهب، وعليه مائة ألف حجر من الياقوت الأحمر والدر الأبيض، والذي ركب بالسعادة في ألف مركب وألف راية مكللة بالدر والجوهر، وتحت كل راية ألف فارس معلمين بالحرير والذهب، والذي في مربطه ألف فيل خراطيمها أعنة الذهب، والذي يأكل في صحاف الجوهر على موائد الدر، والذي في خزانته ألف تاج وألف حلة جوهر لألف ملك من آبائه، والذي يستحيي من الله أن يراه خائبا في رعيته إذا اختصه بالأمانة عليهم والرناسة فيهم، إلى عبد الله ذي الشرف والرناسة على أهل مملكته، أما بعد؛ ما تقدم به ذكرنا أيها الأخ من الملك والشرف والثروة مما خطر ما ترتحل به الأوقات، وتجره الساعات ذهابا وزوالا عند الخطر الذي يجب على المستودعين من الله سبحانه فضيلة العقل الاعتداد به والمكاثرة فيه، ولكننا جرينا على ما جرت به سنة الملوك، ولم يجهل أن الله له الشرف الذي يفوت الألسن ذكره فإن الابتداء بتمجيده من أفضل الاعتداد، ولكننا أجللناه عن الافتتاح بذكره إلا في مواطن المناجاة له عابدين، وأخبارك ترد علينا بفضيلة لك في العلم لم نجد لها غيرك، ونحن شركاؤك في المحبة والرغبة، وإن لك في أفندتنا من ذلك ما لم نزل به بالله بالفضل ذاكرين، وقد

استفتحنا استهلال بأن وجهنا لك كتاب ترجمته بسمته، وبعثنا إليك لطفًا بقدر ما وقع منا موقع الاستحسان له، وإن كان دون قدرك.

ونحن نسألك أيها الأمير! أن تنعم في ذلك بالقبول، وتوسع عذرا في التقصير"

وكانت الهدية جام ياقوت أبيض فتحه شير في غلظ الأصبع مملوءا درا، وزن كل درة مثقال، والعدد مائة درة، وفراشا من جلد حية تكون بواد الدهراج تبتلع الفيل، ووشي جلدها دايرات سود كالدرهم، في أوساطها نقط بيض لا يتخوف من جلس عليها السل، وإن كان به سل، وجلس عليها سبعة أيام برئ، ومصليات ممثلة وساندها من جلد طائر، يقال له، السمندل، إذا طرحت ريشه في النار لم يحترق فراوزها در، ومائة مثقال عود هندي يختم عليه؛ فيقبل الصورة، وثلاثة آلاف مثقال كافور محبب مثل اللوزة، وجارية طولها سبعة أذرع تسحب شعرها، لها أربع ضفائر، وكل شفر من أشفار عينيها أصبع، إذا أطرفت بلغ نصف خدها، ناهدا لها ثمان عكن، وهي في نهاية الحسن والجمال ونقاء البياض.

وكان الكتاب مكتوبا في لحاء شجرة تنبت بالذهب، يقال لها، "الكادي"، لونه إلى الصفرة، والخط باللازورد، مفتح بذهب.

فأجابه المأمون يقول، "من عبد الله الإمام المأمون بالله أمير المؤمنين الذي وهب الله له ولاية الشرف بابن عمه النبي المرسل صلى الله عليه وسلم، والتصديق بالكتاب المنزل، إلى ملك الهند، وعظيم من تحت يديه من أركان المشرق سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا الله إلا هو، وأسأله أن يصلي على نبيه، وصل كتابك؛ فسررت لك بالنعمة التي ذكرت، ووقع مداحك إيانا الموقع الذي أملت من قبول ذلك، ولولا أن السنة جارية بترك تقديم من لم يكن لنا على الشريعة مواليا ما تركنا ما يحسن من مبرتك بالتقديم، والاعتذار بهذا أحد المتقدمين، وأنت له منا أهل، وقد أهدينا لك كتابا ترجمته ديوان الأدب، وبستان نواذر العقول، ومطالعك مودعة يحقق عندك فضيلته، وجعلنا لذلك عنوانا من الهدية، وهو لطف استقللنا قدرها لك، ولو كانت الملوك تهدها على أقدارها؛ لما اتسعت لذلك خزائنها، وإنما تجري في ذلك على قدر ما يدل على النية بالتوطين إن شاء الله تعالى".

وكانت الهدية فرسا بفارسه، وجميع آلاته من عقيق، ومائدة جزع فيها خطوط سود، وحرمر على أرض بيضاء، وفتحتها ثلاثة أشبار، وغلظها أصبعان قوائمها من ذهب، وخمسة

أصناف كسوة ثياب مصر، وخز السوس، ووشي اليمن، وملجم خراسان، والديباج
الخررواني، وفرش قرمز، وفرش حمر، ومائة طنفسة إبريسم بوسائدها كل ذلك خز، وفرش
خز نوسي مائة قطعة من كل صنف، وجام زجاج فرعوني فتحه شبر، في وسطه صورة
أسد، وأمامه رجل قد برك على ركبتيه، وفوق السهم في القوس نحو الأسد، وكانت المائدة
والجام مما أخذ من خزائن بني أمية، وكان الكتاب في طومار ذي وجهين.

وغلظ الخط أصبغ، ذكرنا هذه الحكاية لما وصفنا من صفة الجارية الهندية والسندية
تزيين المشرق والجنوب، وهن قريبات الشبه بالهنديات لمتاخمة بلادهم غير أن السنديات
يتفردن بدقة الخصور وطول الشعور.

عن جعفر بن زياد قال، عشق ابراهيم بن سيابة مولى بني هاشم جارية سوداء؛
فلاموه على ذلك، فقال،

فيكسوه الملاحه والجمالا يكون الخال في وجه قبيح
أراها كلها في العين خالا فكيف ألام في حبي فتاة

قال أبو شبل، كانت لي جارية سندية اسمها سكر، فدخلت يوما إلى منزلي، ولبست
ثيابي، لأمضي إلى دعوة دعيت إليها؛ فقالت لي سكر، إلى أين تمضي؟ فقلت، إلى دعوة؛
فقالت، أقم في دعوتي؛ فأقمت عندها، وقلت فيها،

والهوى ليس بمسكر أنا في دعوة سكر
وجهه دلو مقير كيف صبري عن غزال

فلما سمعت البيت الأول، فرحت وسرت به، فلما أنشدتها البيت الثاني قامت إلي
تضربني، وتقول، هذا الآخر الذي فيه دلو مقير لمالك لولا الفضول، ومازالت، والله تضربني
حتى غشي علي.

والمدنيات، سمر الألوان قوامهن معتدل قد اجتمع لهن حلاوة القول، ونعومة الجسم،
وملاحه، ودل، وحسن، وشكل، وبشرة، لا غيرة فيهن على الرجال، قنوعات بالقليل،
لا يغضبهن، ولا يصخبن، ويوجد فيهن الخفيفات الروح، ويصلحن للقيان.

والطائفيات، سمر مذهبات مجدولات، أخف خلق الله أرواحا، وأحسنهم فكاهاة ومزاجا، أمهات أولاد، ويكسلن في الحبل لفساد الهضوم، ويهلكن عند الولادة، وهن أشد الناس تحببا، وأذوقهم عشرة، وأحسنهم غناء.

واليمانيات، في حسن المصريات، وخلق البربريات، وشكل المدنيات، وهن أمهات أولاد، حسان الوجوه، أشبه شيء بالأعراب، ومعظم جوار الخلفاء اللواتي ضربت الأمثال ببراعتهن، وبلغن عندهم المبلغ العظيم، يمانيات، وطائفيات، ومدنيات، مولدات العرب.

والجليات، هن المولدات بالجلة بأرض العراق، وهن مولدات العرب، أطيب النساء متعة، وأعجبهن خلوة، وإذا سبق إلى البكر منهن؛ قبل بألف العهد، وتعتاد الفحش؛ فهي الغاية في هذا الباب.

والبربريات، من جزيرة بربرة، وهي بين الغرب والجنوب ألوانهم على الأكثر سود، ويوجد فيهن الصفراء، وإذا وجدت فيهن الكتامة الصباحية الأب المصمودية المنشأ؛ فإنها تصادفها مطبوعة على المواتاة في كل أمر، وهن نشيطات للخدمة، يصلحن للولد واللذة؛ لأنهن أحذر شيء على ولد.

وقال بعض سماسرة هذا الشأن، إذا اجتمع للبربرية مع جودة الجنس أن تجلب، وهي بنت تسع حجج ثم كانت بالمدينة ثلاث حجج، وتكبر ثلاث حجج ثم جاءت إلى العراق بنت خمسة عشرة سنة؛ فكانت في العراق في الأدب عشرة سنين، ثم ملكت ابنة خمسة وعشرون سنة التي جمعت إلى جودة الجنس شكل المدنيات، وخبث المكيات، وأدب العراقيات، استحققت أن تخبى في الجفون، وتوضع في العيون.

والزربحيات، من بلدة يقال لها، "زربح"، بينها وبين مدينة المليان مسيرة شهرين والمليان وسط الهند، وخاصة هذا الجنس، إنهن إذا بوشرن فعزقن بدمائهن عرق كالمسك، لكن لا يصلحن للولد.

الزنجيات، مساوئهن كثيرة، وكلما زاد سوادهن، وقبحت صورتهم، وتحدت أسنانهم؛ قل الانتفاع بهن، وخيفت المضرة منهن، والغالب عليهن سوء الأخلاق، وكثرة الغم والههم، وليس في طبيعهن سوى الإيقاع والرفض، ويقال، لو وقع الزنجي من السماء إلى الأرض وما وقع إلا بإيقاع.

وهن أنقى الناس ثغورا لكثرة الريق، وكثرة الريق لفساد الهضوم، وفيهن جلد على الكد، والزنجي إذا شبع، فصب عليه العذاب صبا؛ فإنه لا يتألم، وليس فيهن متعة لصنانهن، وخشونة أجسامهن.

والحبشيات، الغالب عليهن نعومة الأجسام ولينها وضعفها، يتعاهدن السل والدق، ولا يصلحن للغناء، ولا يوافقهن غير البلاد التي نشأت فيها، وفيهن مباشرة وخيرية وسلامة انقياد، يصلحن للانتمان على النفوس، تخصصهم قوة نفس، وضعف أجسام كما يخص النوبة قوة الأجسام على دقتها، وضعف النفوس، قصار الأعمار لسوء الهضم.

والمكيات، حسان مواتييات، ألوانهن إلى البياض المشرب بسمرة، وشعورهن جعدة، وعيونهن مراض فاترة.

والزغاويات، رديئات الأخلاق، وذوات دمدمية؛ لحملهن غلظ الأكباد، وشره الطباع على عظم الأفعال، وهن شر من الزنج، ومن جميع أجناس السودان لا يصلحن للمتعة ورجالهن لا يصلحن للخدمة.

والنحاويات، هن فيها بين الجنوب والغرب في الأرض التي بين الحبشة والنوبة، مذهبات الألوان، حسان الوجوه، ملس الأجسام، ناعمات البشرة، جواري متعة، إن جلبت إحداهن صغيرة، وقد سلمت من أن ينكل بها؛ فإنهن يقررن، ويمسح بالمواسي ما على فروجهن، حتى يبدو العظم، فيصرن فظيعات المنظر، ويقطعون أئداء الرجال.

وقيل، الرصفة من الركبة، يعني، الناعي منهم زعموا، والسرقة فيهم طبع؛ فلهذا لا يجوز أن يؤمنوا على مال، ولا تصلح الجواري منهن أن يكن خازنات.

وأما الحبشة؛ فكثير منهم يعقلون أنفسهم، ويعقلون أولادهم، وذلك أنهم يركبون للخيال عارية لا يضعون عليها سرجا، ولهم من الخيل ما يفوق خيل العرب في المرح، والقوة والوثب، فيخاف أحدهم حين يئب إلى ظهر الفرس أو يثب به الفرس أن يحصل إحليله تحته، فكثير منهم قد كان هلاكهم شبه ذلك، وذلك أن إحليل الأسود وساقه طويلتين.

والنوبيات، من جملة السودان ذوات ترف ولطف، وأبدانهن يابسة مع لين البشرة، وقوة مع دقة وصلابة، وهواء مصر يوافقهن؛ لأن ماء النيل شربهن في بلادهن، وإذا انتقلن عن مصر، تسلطت عليهن العلال الدموية، ويسير الأذى يقدح في أجسامهن، وإلا فأخلاقهن

ظاهرة، وأجسامهن لينّة، وصورهن مقبولة، وفيهن دين وحرية وعفة وتصون، وإذعان للموالي، كأنهن فطرن على العبودية.

والقندهاريات، في معنى الهذيات، ولهن فضيلة على كل النساء؛ فإن الثيب منهن تعود كالبكر.

والديلميات، حسان المنظر، جميلات المخبر، غير أنهن أسوأ النساء أخلاقاً، وأغلظهن أكباداً، وفيهن صبر على الشدة كالطبريات في كل حال.

واللابيات، ألوانهن مشربة بحمرة، وأفرجهن يغلب عليهن البرد، وهن للخدمة أصلح منهن للمتعة؛ لأن فيهن خيرية طبع وثقة، وحرص على المحافظة والموافقة، وهن قليلات الشبق.

والتركيات، قد جمعن الحسن والبياض والمتعة، وجوهن مائلة إلى الجهامة، وعيونهن وصغرها مائلة إلى الحلاوة، وقد يوجد فيهن السمراء الأسيلة الخدين، وقودوهن مائلة في الرفع والقصر والطول فيهن قليل، ملتحن غاية، وقمحتن آية، وهن كنوز الأولاد، ومعادن النسل، قلما يتفق في أولادهن وحش، ولا رديء التركيب ولا جبان، وفيهن نظافة ولباقة وقوة شبق، معدهن جيدة الهضم لا يكاد يوجد فيهن نكهة متغيرة، ولا من له عجيذة عظيمة، ولهن أخلاق سمحة، وقلة وفاء، والحسنة منهن إذا جلبت صغيرة وربيت؛ فهي ابعدهن عن الشر، فأما التي تجلب كبيرة، وتكون مع جمالها قوية؛ فالخلوة بها من أعظم الخطر لمن كان شيخاً ضعيفاً أو قليل البطش.

حدثتني جارية لي أن الذي جلبها نزل بها في خان في بعض مراحل في مدينة من مدن خراسان، وكان في بعض حجر الخان شيخ تاجر كثير المال والتجمل معه زوجته، وله عدة جوار تركيات منهن واحدة فائقة الجمال، وكان التاجر في كل ليلة يشرب مع صاحب المدينة، وينصرف وقت النوم، وبين يديه قوم يشيعونه إلى منزله، فراوده الأمير في بعض الليالي في بيع الجارية الحسنة على الخمر فامتنع، وجعل كلما أسنى له العطية، وبالحق في التوسل لا يجيبه إلى بيعها ثم انصرف إلى منزله الذي بالخان وقت منامه، ونام تلك الليلة مع الجارية في حجرة غامضة داخل الحجرة التي تسكن فيها زوجته وجواريه.

وكانت تلك الجارية قد سمعت برغبة الأمير فيها، وإن مولاهما غير مسامح في بيعها، فأغلقت الباب عليها وعليه، وقد وقع من النوم والسكر، وطمعت فيه، فأقبلت عليه،

فأوثقته كتابا سجل قد أعدته، ففطنت بها جارية من جواريه؛ لأنها ارتابت منها لما أغلقت الباب عليها وعلى مولاها، وقفلته فما زالت قائمة تنظر من شق الباب حتى رأتها قد فعلت ذلك ثم أنها استخرجت سكينة من كمرانه، وأقبلت عليه ضربا في عنقه، وقطعا في أوداجه؛ فأسرعت الجارية إلى ابنة عم مولاها صارخة فقامت والجواري، وصحن في الجارية وهددنها، وهي لا تكف عنه حتى قتلتها، وكان الباب وثيقا لا ينكسر سريعا، فما قدروا على كسره إلا بعد هلاكه بساعة، فلم تحفل بهم حين دخلوا عليها لقوة قلبها بأنها بغية صاحب المدينة، فأكبت عليها ابنة عمه ضربا، وساعدها الجواري، فأوثقوها كتافا.

ووافى أصحاب الأمير ورسله يشفعون إليها في الجارية، ويطلبونها منها بحكمها، وكانت ابنة عم التاجر امرأة ذلقة اللسان، فما استطاعوا خلاص الجارية من يدها، وهددتهم بأنواع الشناعات والتشويهات بنفسها إن أخذوها منها، فمكثها السلطان منها، فقطعت أطرافها، وقلعت عينيها وفرجها، وفي مجمع من الناس، وتركتها حية، فعاشت سبعة أيام تسأل الناس الطعام حتى ماتت.

ذكرت هذا الخبر لما فيه من الوعظ لمن اعتاد أن يثق بالتركيات على نفسه.

فأما غدرهن وميلهن إلى الفساد والتعشق للأتراك والمرد؛ فأعرف منه حكايات وقصصا جرت لجوار جماعة من الوزراء والأمائل أكره ذكرها؛ فإنهن لو شاهدن كلبا أو خنزيرا على رأسه كربوش كان أثر عندهن من بدر الدجى في عمامة، فسيل من عاشرهن ألا يلقاهم في عمامة مهما استطاع.

والروميات، بيض شقر، سباط الشعور، زرق العيون، ذوات طاعة وولادة وموافقة وخدمة ومناصرة ووفاء ومحافظة وأمانة، يصلحن للخرن لضبطهن، وقلة سماحتهن، لا يخلو أن يكون بأكفهن صناعة دقيقة.

والأرمنيات، لهن الملاحة لولا ما خصوا به من وحشة الأرجل، وبهن شدة أسر وقوة، والعفة فيهن قليلة أو مفقودة، والسرقة فيهن قاسية، وقلما تجد فيهن بخل، وفيهن غلظ طبع، وليست اللطافة في لغتهن، وهن عبيد كد وخدمة، متى نهنه العبد منهن ساعة بغير شغل؛ لم يدعه خاطره على خير، لا يصلحون إلا على العصا والمخافة، ليس لهن فضيلة غير تحمل العناء والأعمال الثقيلة.

والواحد منهم إذا رأيته كسلان؛ فذلك لعنة فيه ليس عن عجز قوة فدونك والعصا،
وكن مع ضربه وانقياده لما تريد على حذر؛ فإن هذا الجنس غير مأمون عند الرضا فضلا
عن الغضب، ولتوسط بلادهم في بلد الإسلام؛ فهم أطمع الرقيق في الهرب، والعودة إلى
الوطن، وجملة الأمر أن الأرمن شر البيض كما أن الزنج شر السود، وما أشبه بعضهم
ببعض في قوة الأجساد، وغلظ الأكباد، وكثرة الفساد.

الباب الخامس من الجملة العاشرة: في التحرز من تلبيسات النخاسين التي يدلّس بها في مواسم الرقيق على المشتري

أما الذي يفعلونه في تغيير البشرة؛ فإنهم يصيرون الصفراء ذهبية بوضعها في أبزن
ماء الكرويا أربع ساعات من النهار.

وأما الدرية اللون فيصيرونها بيضاء إذا غمز وجهها بباقلاء قد نقع في بطيخ سبعة
أيام، ونقل إلى لبن حليب أيام، وغير اللبن عليه كل يوم.

وأما ما يحمر الخدود المصفرة؛ فهو غسول هذه صفته، دقيق الباقلاء والكرسنة فيه
أجزاء عروق الزعفران وبورق وحناء من كل واحد ربع جزء.

وأما السودان فيدهن أطرافهن، ووجوههن بدهن البنفسج.

سمعنا ربات القصور تقول، الذي يكسب الشعور الشقر السواد الحالك؛ فدهن الأس،
ودهن قشور الجوز، وغسله بالأمليج، ودهنه بدهن الشقائق، ويجعد الشعور البسطة علقها
بالسدر والزاد رخت.

ومن عادة النخاسين إذا أرادوا أن يطولوا الشعور أن يوصلوه بصفيرة من جنسه،
وإذا أرادوا الوضع من الإماء ألصقوا في الأصداغ شعرا أبيض ليحث البائع على قبض
الثمن، ويزيلون الشعر عن الوجه والأطراف بالمنقاش أو بالنورة ثم بعد ذلك يطولونه ببيض
النمل أو بدهن قد طبخ فيه صفادع خضراء أو عضاية أو دم الأرانب دفعات كثيرة، ويغلى
بالشبت والبورق الأخضر.

وعادتهم أن يسمنوا الوجوه الهزيلة، والروادف الممسوحة، والسيقان المعرقة،
بالدلك بالمناديل الخشنة، والأدهان الحارة، والطلاء بالعاقر قرحاً والخراطيم المعرقة.

وينعمون الأطراف الخشنة بالدهن والشمع واللوز المر، ولخلحة معمولة بماء الورد ودهن البنفسج، وترك مباشرة الأجسام الخشنة كالخشب والحجارة وهجر المأكّل المولدة للمرة.

ويدهنون آثار الجدري والنمش والوشم بغسول معمول من عروق القصب واللوز المر والكرسنة والباقلاء وحب البطيخ معجون بغسل ما يخضب البرص القلفديس والعفص والزنجار من كل واحد جزء ويعجن بماء ولبن التبن ويغرز بإبرة، ويطلّى أربعة أيام في الشمس حتى يبقى أربعين يوماً، ويطلّى بمري وخل ما يغسل به الخضاب من البرص خل واتنان مغلي وماء القلا والبورق أو ناطف وماء حار.

وما يقل القمل والصبيان من الشعر والبدن يغسل بالبورق، وماء السلق أو دردي الخل والشراب والصابون ما يزيل الكلف من البشرة الشويز، وأصل قثاء الجمان وورق الخبازي، وبزر الجرجير وأصل الكرم يعجن بغسل ويطلّى به.

ما يزيل الشعر الذي يكون في أصل الأظفار غسلها بالعسل والخل والمرتك أو دهن الورد واللوز، ويعالج البرص فيها بالزرنينخ والكبريت.

ما يطيب الفم والنكهة مضغ العود الرطب والكسفرة والفوفل وقشور الأترنج، والمضمضة بالخمير وماء الورد والعود المنقوع في الشراب، وأكل اللبن بعد الطعام والصحناء أيضاً.

ما يزيل روائح الأنف السعوط بدهن المزرنجوش والبنفسج واللينوفر والنرجس والياسمين.

ما يجلو الأسنان السواك بالأشنان والسكر وسحق الدار صيني أو الفحم والملح المدقوق.

ما يطيب الجسد الصندل والورد والمرتك المربي بماء الورد والبخور والرياحين، ويخلط الثياب المعبقات المعمولة من الرياحين على التفاح والفواكه مبخرة بالكافور.

ما يضيّع البياض العارض في سواد العين يقطر لبن أتان حار في العين، ما يستعمل في الثيب لتصير كالبكر، فلول الرمان الحامض وعفص أخضر يعجن بمرارة البقر وتتحمل به.

ما يغير به زرقة العين لتصير كحلاء يقطر فيها ماء قشر الرمان.

ما يخفى الحمل وصايا النخاسين للجارية أن تعتمد الشداد، وتظهر الدم الكاذب المصنوع من ماء الصمغ ودم الأخوين، هذا إن لم يكن يمكنها إعداد دم حيوان، ما يتعرف به الحمل هل ذكر هو أم أنثى؟

وهذا يتبين بأن يقدر بخيط في وسط المرأة إلى وسط الفقارة المحاذية لها، ويعلم المكان بمداد، وتديره من الجانب، فإن نقص الخيط عن العلامة من الجانب الأيمن؛ فهي بذكر، وإن طال فبأنثى.

ما يوصى به النخاسون الجارية

أن يصرفوا العناية كلها إلى النظافة والطيب والتبرج للمشتري تارة والاختفاء تارة؛ فإن هذا باب من التحبب مآلك للقلوب.

ومن وصاياهم لهن أن يظهرن أجمل ما فيهن ويخفين أقبح ما فيهن.

ومن وصاياهم لهن أن يدارين المشايخ والنافري الطباع، ويستميلوهم ويتحبين الشباب ويمتنعن عليهم ليتمكن من قلوبهم.

ومن ذلك ما يعتمدون في ملابسهم؛ فإنهم يلبسون الأبدان الخصبة البيض الغلائل الشفافة الخفيفة الكحلية والموردة والسوداء الغلائل والحمرة والصفرة، ويجرون الصناعة مجرى الطبيعة في كشف العقل بالمتضادات من ألوان الزهر.

وما يلزمون به من تحمير خدودهن بالمساح، وخضاب حواجبهن بالرامك وأطرافهن؛ فإن كانت الجارية بيضاء بالخضاب الأخضر، وإن كانت سوداء بالذهبي والأحمر، وإن كانت صفراء والأسود.

ومن ذلك إصاقهم الشعر المنقلب في العين بالمصطكي والصمغ العربي أو أخذ الشعر بالمنقاش.

ومن ذلك ما يوصون به الجارية الناقصة اللون من إدامة ذلك وجهها بيدها كل ساعة عند مغافلتها للجلساء؛ لينجذب الدم إلى وجهها فيحمر، ويأمرونها بتفريضة شفثتها وامتصاصها كل ساعة حتى تحمر، واللواتي بهن مبدأ الدق يوصونهن بغسل أطرافهن بالماء البارد في النهار مرات كثيرة، وأن يظهرن أن ذلك منهن إنما هو من لمبالغتهن في النظافة.